

عَرَفَ السَّوَيْسَ الْمَاءَ

أَقْصُوصُ عِلَّةٍ مِصْرِيَّةٍ
بِقَلَمِ الْإِسْتَاذِ دُرَيْي خَشَبَةِ

وكان النسيم يداعب شعرها
الأسود الفاحم المغدودن ليسرق
عطره، وينشره في ذلك للكون
الاعظم أرجاءً ينمش النفوس
بالأمل، أو يكون للضالين قبسة
من سيناء !
تري لماذا أرسلت هذا
الدنار الأسود الحزين، فوق تلك

كانت تجلس وحدها على منخرة فريدة من تلك
المخور الوردية التي تشرف على هذا البحر القديم
الكريم المقدس، بحر النلزم كما كان يسميه العرب،
أو البحر الأحمر كما تسميه الطبيعة والشعر، لأنه بحر
الزبرجد والميتق والمرجان، وبحر الجلال والذكريات
والجوارى النشئات !

وكانت الشمس تهبط إلى الأفق، متأججة في
السحاب المنتثرة في سماء السويس الساحرة، فنوشي
أذيالها بالشفق، وتشر في اللجة دنائير الذهب،
وتسكب في حواشها ذوب اللجين ... ثم تحور
الطبيعة كلها هيكلًا لتلك الراهبة الصامتة، الجلاسة
فوق الصخرة الفريدة تفكر ساهمة، وتغلى من
جمال الله ووحدانيته، وتمبده في هذه الآثار الجميلة
الجميلة للكمال التي أبدعتها يده، وبرأها قدرته،
فهي عندها الدليل عليه، والوسيلة إليه ...

وكان النسيم الرخي يهب في أنفاس المغرب كأنما
عمرته هزة من ذكريات موسى حينما لح المصرية الجميلة
الرائمة تشرف على بحره القديم الكريم المقدس فيكاد
يكون فرقين لتخوض بينهما فنلعب بحصباء دره،
وتلهو بمكنون مرجانه ...

كانت تنظر بعينها النجلاوين في الموج المضطرب

الشفوف البيض الحربية !
تري لماذا جلست وحدها فوق تلك الصخرة
الفريدة النائية عن السويس، في تلك الساعة التي
توشك أن تنام فيها الطبيعة ؟
كل شيء ساكن هادي، إلا خرير الماء
ورشاش الشج

الشمس تاج أبواب المغرب، والبدر يذر من
بيان المشرق ...
الشمس تختم كتاب النهار ... والبدر يثنى
أنشودة الليل ...

فيا ترى لم جلست هذه الحساء وحدها
هناك ... فوق تلك الصخرة الفريدة ؟
فيم تفكر ؟

أوه ! إنها تبكي !!
يا لله ! ألا ما أجل الدموع في عيون المذارى ؟
ألا ما أجل المندراء تبكي وحدها في دنيا جميلة كهذه
من شفق وبنفسج ونسيم وبر وبحر وأرض ومماء
وليل مقبل ونهار مول ؟
فيم تبكي يا ترى ! ألا ما أغلى هذه الدموع التي
تنسكب من هذه العيون !
إسمي يا طبيعة ! إن عذراءك تفنى :

وجه حزين ، بيد أنه جميل فتان رائع .. وجسم
شفه الوجد وأضنته الأحزان ، بيد أنه أهيف ممشوق
يتثنى ... وثوبان ، أما أحدهما فأبيض كالنهار
وأما الآخر فأسود كالليل ، يتهدل فوقهما شعر فاحم
خلق للحب ولم يخلق للأحزان !

وعجب علوى لغناء الفتاة ، لأنه كان يتشقق عن
نفس ياكية ، وروح وفية ، في صوت بللته الدموع ،
وأنفاس صهرتها نيران الألم ، وعاطفة مكبوتة محبوسة
لا يفرج عنها الشدو إلا قليلا

ثم سمعت الفتاة فجأة ، لأن للقرص الملتب أخذ
يستتر رويداً وراء الأفق ؛ ونضت ثوبها الأسود
في هدوء وثؤدة ، ونزعت حذاءها ، وكشفت عن
ساقها ، فاختلط بياض الحرير ببياض اللحم الوردي
وقبل أن يختفي القرص الملتب كله ... أو حين
لم يبق منه إلا هذه البضمة التي تمكّي الجرح في كف
الأفق ... تجردت للفتاة من ثوبها الأبيض كذلك
ثم وقفت عمروساً من عرائس الماء مادة ذراعها نحو
البحر ... وهبطت إلى الماء فجأة ففاصت فيه

وأفاق علوى من الطلسم الذي سحر قلبه حينما
شهد الفتاة تتجرد من ثوبها ، وذكر أن هذا الجزء
من الشاطئ هو أخطر الجهات للاستحمام ، لكثرة
ما به من الصخور المؤذية ، وما يأوى إليه عادة من
حيوان هذا البحر ليستخفي فيه ... وإن تكن تلك
خرافة انتشرت بين أهل السويس ، لم تؤيدها
حجة ، ولم يقم على صحتها برهان

ذكر ذلك علوى فبرز من مخبئه على عجل ...
ونضائياه على عجل كذلك ، وكانت فكرة جديدة
من ألوف الأفكار التي ترد في الخاطر في مثل تلك
اللحظة تزيد في مجلته ، وتضاعف نشاطه ، حتى

« ما أقساك أيها البحر ، لم قلت حبيبي ؟ »
إنها تسرد مأساة غرامها ، وهامي ذى تنقم من
بحر موسى ما أطبق موجه على ابن فرعون !
مسكينة أيتها المذراء ، لقد تخضب مرجان
البحر بدماء حبيبك ، وتفتحت أصدافه لتلقف
أنفاسه ليكتسب الدر سناها !

كان علوى يذرع رمال الشاطئ في هذه الهدأة
الرائمة من مغرب السويس ، حينما لح الفتاة الباكية
تجلس وحدها فوق الصخرة القريدة ، ترسل في أطباق
الوج نظراتها النداءة

لقد أحس الشاب بماطفة قوية تجذبه إلى حيث
جلست الفتاة ، فهرول كالشبح بين الكتيبان الناعمة
حتى كان قاب قوسين من صخرتها ، فجلس في كن
يسمع إلى بكائها وغنائها ، فاذا بالبكاء والغناء قصة
حب دامية ، وإذا الفتاة قد أقبلت من جهة بعيدة
فائية تصل من أجل حبيبها ، وتذرف الدموع حارة
سخينة على ذكراه !

ولقد كان علوى ينظر إلى الفتاة من كنفه ،
فيراها ملاكا نورانياً صورته يد القدرة في نسيم
للبحر الأحمر ، أو طبيعته في أديم سماءه ؛ وكانت
جلستها جلسة شمرية ، لأنها لم تكن تلتفت حولها
عينة أو يسرة ، بل كانت تثبت عينيها في لجة واحدة ..
وتبكي ! وبكاء عذراء تجلس وحدها فوق صخرة
موحشة من صخور هذا البحر ، شيء يثير الفضول
في قواد العابر ، وخاصة إذا كان في مثل شباب
علوى المشبوب

لقد لح علوى جمالاً يثير الألم في النفس ...
جمالاً غامضاً من ذاك الجمال النادر الذي يخلقه الله
كما يخلق المعجزات

قريبة من سطح الماء ، فوقف فوقها منهو كما مكدوداً ،
لا يكاد يحسك نفسه من التعب
وكان القمر المصرى الجليل قد أخذ يسكب فضته
فوق الكون الهامد إلا من جرجرة الموج حول
الصخرة التى وقف فوقها علوى الحائر ...

فيا ترى ؟ هل يسخر للقمر بهلوى ، كما سخر
به البحر ؟ !

أين الفتاة يا ترى ؟
لقد راح المسكين يبحث عنها بعينيه الرمتشتين
فى آفاق الماء ... لكنه لم يجد شيئاً ، غير لجة عند
لجة عند أخرى ... !!

هل غرقت ؟
ولم لا يكون ذلك ؟
إن هذا بحر تفرق فيه الجن ، فما بال فتاة طرية
حزينة كمود القصب الرقيق ؟ !

أخذ علوى طائف من الحزن والوجوم وأخذت
الوساوس تمصف فى قلبه ، وشمر كأن كنزاً بأكله
من السمادة والهناء قد أفلت من يديه .. وراح وهو
فوق الصخرة ، وحوله هذا الموج المقترس ، يستعيد
رجع الغناء الذى ملأ أذنيه فوق الشاطئ ، فلا يذكر
أنه سمع مثله فيما عاش حلاوة وطلاوة ولا سحراً ..
ولا إجماعاً كذلك !

وطفق يتحدث نفسه حديثاً طويلاً مؤسباً ...
« وأأسفا عليك يا فتاة ؟ ليتك عشت لى ؟ ليتك
عرفتني قبل أن تلقى بنفسك فى هذا الالج الصخاب
هل حسبت أن الدنيا أقفرت من للقلوب بمد
حببيك ؟ ! أى قلوب العالم لا تتفتح كالزهر لتنفق
أنفاسك ؟ هلى إلى من الماء يا عروس الماء ! عودى
إلى الحياة فهى أحفل من قاع البحر بحبيبك

لأوشك أن يرتبك وهو يخلع ثيابه ، فكان لا يبالى
تقطيع أزراره أو تمزيق إزاره ... ذلك أنه حسب
أن الفتاة قد فعلت فعلتها لتذبح ، وقد كان غناؤها
الحزين يعنى ذلك ، لأنها ذكرت أن تلك اللجة فى
ذلك المكان عند هذه الصخرة ، كانت قبر حبيبها
الذى غيبه البحر فى أحشائه ، غير راحم شبابه ...
لذلك ارتبك علوى ارتبا كما شديداً قبل أن يقذف
بنفسه فى اليم لينقذ الفتاة الجميلة البارة التى ضاقت
بها الحياة بمد حبيبها ، فبادرت إلى الانتحار فى
المكان نفسه ، وفى البحر نفسه ، وفى هذه الهدأة
الرائحة من مغرب السويس نفسها
وسبح علوى ...

ثم سبح ... بيد أن البحر الذى يخضع للفتيد
الحسان النواعم ، هو البحر نفسه الذى يأبى أن
يقهره أحد من ذكران البشر ، ولو كان فرعون
ومن وراء فرعون جنوده ! لذلك لم يدر علوى لم
تار العباب حوله وفار ، واسمخب الموج وأرغى الزبد
وهزى الشاب الفتى أول الأمر ، ثم مضى فى
سباحته قدما ، غير أن البحر هزى هو أيضا ،
ثم جرجرت حول علوى أمواجه ، وأزبدت من
فوقه أثباجه ، حتى غدا الليل فى عينيه ليلين ،
وإن كان للبدر السافر قد صار هو الآخر فى روعه
بدرين ، بدرآ فى السماء وبدرآ فى الماء !

وعجب علوى لطفيان البحر وشدة مراسه ،
ورجع بذاكرته إلى ألوف المرات التى خاض فيها
عبابه ، فلم يذكر أنه عتا مثل هذه المرة ، ومثل ذاك
العتو ...

ثم سبح ولم يبال ...
وبانغ بمد إعياء ومد جهد ، جزيرة من الصخر

— أنا ... أنا ... علوى ؟ وأنت ؟
 — علوى ؟ ... من علوى ؟
 — أجل ... أنا علوى ... أنا والله علوى الذى
 كاد يهلك فى هذا العباب من أجلك ! ألا تريد
 أن تذكري اسمك ؟ إذن لماذا كنت تبكين ؟
 وبرزت الفتاة من الماء فوقفت فوق الصخرة ،
 وراحت تقلب فى وجه علوى عينيها الحاليتين ...
 ثم أشاحت فجأة ، وصرخت قائلة :
 — كلا ... لست أنت علوى ... هذا حلم ...
 هذا ... باطل !
 ثم أهرعت إلى اليم فأعملت فيه ذراعها
 ولم يتوان علوى ، بل قذف بنفسه فى اللجة ،
 وانطلق يسابق الفتاة إلى الشاطئ ... وقد نشط
 هذه المرة ، وتدقت القوة كالحديد فى أعصابه ،
 وأحس كأن الماء الذى كان كالنارج قبل لحظة ،
 قد صار حمماً ساخناً
 وبالرغم مما عراه من جفا وتلف ، فقد ذهب
 بأكل هذا الجمال المأمم بعينيه الجائعتين ، ويملاً
 رثيئه بذاك الأرج الذى أخذ يتضوع بالحلب فوق
 البحر وتحت القمر ...
 وكان علوى أسبق من الفتاة إلى الشاطئ ،
 فوقف عنده ينتظرها ...
 وقالت له وهى فى الماء
 — إذا أنت ظلمت واقفاً هكذا فسأعود !
 — تمودين ؟ وإلى أين ؟
 — إذهب أرجوك !
 — بل اخرجى وأنا خادمك ... إني أهيك
 حياتي تسير في ركابك حتى تباتي مأمناً المدينة !
 — أشكرك ... لا حاجة بي إلى أحد !

والشرمين بك ، وعباد جمالك ! إن حبيبك الذى
 تحسبته قد نوى كالدبر فى أصداف هذا اليم ، هو
 هنا ! هنا ، فوق هذه الصخرة ، وهو يكلمك الآن ،
 إنه ليس هناك فى القاع يا فتاة فعودى ! عودى إلى
 الذى لا يعرف اسمك ، وإن كان قد انطبع فى فؤاده
 رسمك ! عودى فإن فى قلبى لك جنة موشاة بأزاهير
 حبيك ، وهى فى حاجة إلى الأنفاس المبقعة التى يرددها
 فك الجبل الشادى ! لم كرهت الدنيا وشيكا هكذا ؟
 لأن قلباً واحداً من ملايين القلوب التى تخفق
 بحبيك قد أودى ، فأنك تهجرين الدنيا من أجله ؟
 أو قد كنت تخلصين له إلى هذا الحد ؟ ما أسعده
 حياً وميتاً ؟ ترى من هو يا فتاة ؟ أو هكذا تسمين
 حلماً فى خلدي بعد إذ كنت حقيقة ملء ناظري ؟
 وكان الريح قد هدأ ، والوج قد تطامن إلا قليلاً
 والبدر قد ارتفع بضمة أمتار فوق الأفق ، وكان
 علوى قد بئس من العشور على الفتاة ولو جنة هامة
 تطفو على اليم ... وكان قد سرت فى كيانه رعشة
 من البرد والحزن والخوف ، فاعتزم أن يمود إلى الشاطئ
 وقبل أن يخوض الماء ، سمع خلفه هاتفاً
 يقول : « هل السيد فى حاجة إلى معاونة ؟ »
 وتلفت علوى مذهولاً ، فرأى الفتاة معلقة
 بنتوء من صخرته ، وجسمها الجليل يلمع فى فضاء
 القمر ، تخفق قلبه خفقة شديدة لهذه المفاجأة ثم قال :
 — أمى أنت ؟
 — ... ؟ ...
 — ألم تفرق ؟ أما ترالين حية ؟ ما أسعدنى !
 — ماذا ؟
 — لقد كنت أبكي قبل لحظة من أجلك !
 — من أجل أنا ؟ ... من أنت ؟

كالحمامة من فوق صخرتها واقتربت حتى كانت تلقاه
ثم وقفت صامته ساكنة ولم تحرك ...
ومد علوى يديه المتداعيتين بالفوطة آخر الأمر
ثم قال :

— أشكرك !

— وأين ثيابك ؟

— وراء للصخرة السميدة !

— الصخرة السميدة ؟ ماذا تمنى ؟

— الصخرة السميدة التي كانت تحملك إذ أنت

تبكين وتغنين !

— أوه !

ونهدت الفتاة فكانت فوق الصخرة ، ثم
استدارت حولها . فاكتشفت للكن الساكن
حيث ملابس الشاب ، وحيث كان يجتبي ويسترق
السمع والأنين . والبكاء . والسر !

وعادت تحمل ملابسه جميعا فوضعتها على الرمال
لتلقاه ثم قالت له : « هذه ملابسك فينبغى أن
تلبسها وإلا عرضت نفسك لخطر اللبرد . أما فوطتي . »
ولم تكمل عبارتها ، بل أطلقت ساقها لتسيم
البحر فكانت فوق الصخرة ، وحملت حقيبتها
وانطلقت لا تلوى على شيء ...

وجفف علوى ما تبقى على بدنه من قطر ، ثم هرول
فوق للشاطئ وملابسه في يده ، وانطلق يمدو
في إثر الفتاة ... وكان مع ذلك يدس إحدى ساقيه
في جزء من سرواله — أى بنطلونه — ثم بخطو
فيتمثر ، ويقف فيدس الأخرى في مكانها الآخر
من السروال ، ثم يمدو ... ويدس ذراعه في كم
القميص ، ويهبط ، ثم يدس الذراع الثانية في الكم

— وكيف ؟ إن هذا مكان موحش ، وإن
الطريق لفقر ، ولا بد أن أحبك إلى المدينة ...
أو إلى حدودها على الأقل ! أنعرفين لم تزل ورائك
إلى البحر ؟

— لتفرق ؟ أليس كذلك ؟

— بلى ! لقد كدت أغرق والله !

— لقد رأيتك تجمد الموج ، ولولا أنك كنت
قريباً من الصخرة لأنقذتك ... فاذهب مشكوراً
إذن !

— ولكنك تضرين نفسك بالبقاء هكذا

في الماء . فلم لا تخرجين ؟

وبرزت الفتاة من الماء فازلزل فؤاد علوى ...
ثم توائمت كالقطاة فوق رمال الشاطئ حتى كانت
دون الصخرة ، فقفزت قفزتين أو ثلاثاً فكانت
فوقها ...

وانثذت تفتح حقيبتها فأخذت فوطة فمسحت
بها جسمها البض المرتجف ... وهنا ... نظر إليها
علوى وهو فوق رمال الشاطئ ينتفض من برد
الليل ، ففهمت سؤله ، وقدفته بالفوطة فتلقفها
باسما ، وبدلاً من أن يجفف بها جسمه المرتعش ،
دس فيها وجهه ، ولا يعلم إلا الله ماذا كان يصنع ،
وأى أنفاس حرار كان يردد ، ولا أى دموع كان
يذرى ويسكب !

ولبست الفتاة ثوبها الأبيض الناصع الذى زاده
أشعة القمر بهاء وسناء وجاذبية ، ثم أضفت عليها
من ثوبها الأسود ، واستدارت لترى هل انتهى
علوى ... فلما رأيته واقفاً تحت هذا الليل الفضى
والرياح تساوره ، وفطرات الماء تداوره ، هبطت

- الأخر، وهكذا. . حتى لم يبق في يده إلا حذاؤه !
ضحك علوى حين رأى نفسه يقتنى أثر معبودته
القاحلة وفي يده حذاؤه ! فتركه على الصخر
وانطلق كالظلم وراءها .
— ما هذا ؟
إن الفتاة تففز في سيارة كانت تنتظرها عند
هامش الصحراء في أول الطريق الموصل إلى طريق
القاهرة ...
ولمح علوى ذلك ، فكاد بصمق وتنخشب ساقاه ،
فلا يستطيع عدوا بل لا يستطيع حراكا ...
لكنه صمم على أن يلحق بها . لأنه أحس بشيء
غريب يمتزج بدمه ، ويجرى دفاقاً في عروقه ...
وأحس أيضاً أن القدرة التي حرمته كل
هذه السنين الطوال نعمة الحب ، قد فتحت له
جنة الحب فجأة بتفياً منها حيث يشاء فإذا
هربت هذه الفتاة فستلقى أبواب الجنة ، وبظل
إلى الأبد طريقاً منها ، يطوف بأهرافها ، ولا يناله
من نعيمها شيء ... فجري ، ثم جري ، وظل يجري
كالجنون ، وكان يسب الأرض لأنها لا تنطوى
بسهولة تحت قدميه ، وظل يدعو الله أن يثبت له في
ظهره جناحين أو ثلاثة أو أربعة ... أو أجنحة
لا عدد لها ، ليباغ السيارة قبل أن تم ...
ولم يقبل الله دعاءه طبعاً ... فلم تثبت له أجنحة
بيد أنه مع ذلك قد بلغ مآله ... وقبل أن تتحرك
السيارة ، استطاع أن ينطرح أمامها لتقف ...
أو لتقتله ... وهل أشهى في هذه الدنيا من قتله
بسيارة تحمل حبيباً كهذا الحبيب !
وتبسمت الفتاة ... وأوقفت الماكينة ... ثم
- نزلت لترى ما خطب هذا الشاب !
— أوه ؟ ماذا تريد ؟
— أريد أشياء كثيرة
— أريد أن أعرف
— قبل كل شيء أحب ألا تمسسى هكذا ؟ هل
أنت غصبي ؟
— وكيف لا أغضب وقد حصل منك كل
ما حصل ؟
— وماذا حصل مني جمات فداك ؟
— ألم تختبئ لتسرق سر فتاة ؟
— الصدفة والله فعلت هذا ؟
— ولماذا نزلت البحر وأنت لا تحسن السباحة ؟
— أنا أحسن السباحة جداً ، وقد فعلت فملقى
هذه لا تقذك ؟
— لتتقذني ؟ وماذا ظننتني أصنع ؟
— حسبتك ...
— حسبت ماذا ؟
— حسبتك عولت على الانتحار ؟
— وماذا يجملني أنتحر ؟
— ألم تكوني تفتين وتبكين وتذكرين حبيباً
لك ... أوه ؟ معذرة ؟ ...
— آه ! إنها أغنية يا هذا ؟
— أنا لست (هذا) .. أرجوك .. لقد ذكرت
لك اسمي ؟
— آه ! اسمك ... علوى ... أليس كذلك ؟
— هو ذاك ... وبقينى أنه كان يسمى
علوى^(١) أيضاً
— كان يسمى علوى ؟ ومن هو يا ترى ؟

(١) نعتذر عن منع الأعلام من الصرف في كل قصصنا

— لا والله يا أختاه ، لكنى أشفق على شبابك
وجالك أن يستلما ليد الدبول فتدوى زهرتك وهى
أعبتى ماتكون ، وبصوح ربيمك وهو بعد فى إبانة
— أشكرك ... ألا تتركنى أنصرف إذن ؟
— تنصرفين ... وأنا ؟
— وأنت ماذا ؟
— أين أذهب ؟
— إلى بيتك !
— ليس لى بيت ... لقد خرجت اليوم من صدفة !
— أرجوك ... أنا لا أحتمل الدعابة !
— دعابة ؟ أية دعابة يا ... يا عجيباً ! ألا أعرف
اسمك ؟

— هذا مستحيل !
— وله ؟
— لأنى أقسمت ألا أخونه !
— أقسمت ألا تخونى من ؟
— لقد عرفته ...
— ألم أقل لك ؟
— ألم تقل لى ماذا ؟
— ألم أقل لك إن اسمه علوى !
— حقاً ، لقد كان اسمه علوى ...
— ولماذا غرق إذن ؟
— كما أوشكت أنت أن تغرق !
— ليتنى غرقت ... ليتنى غرقت !
— ولم تمنى ذاك ؟
— لأنى أوشك أن أقنط من ...
— م ؟
— من إقناعك !
— إقناعى بماذا ؟

— الشاب السعيد الذى غرق فى البحر
— لقد بدأت تمزح !
— كلا والله ، إنى ما إلى الزاح أردت !
— إذن كيف يكون سعيداً من يفرق ؟
— أى مخلوق برزقه الله نعمة ... حبك ...
يكون أسعد خلق الله ولو غرق ؟
— حقاً إنك شاب جرى ...
— لست جريئاً ولكنى ...
— ولكنك ماذا ؟
— ولكنى أقول الحق !
— إنهمض ... لقد أرويت الرمال بالدم المتصبب
من قدميك ؟
— دم ؟ ... أوه ؟ ... ليتنى سفكت دى كله
تحت قدميك !
— ما شاء الله ؟ كيف تستبيح لنفسك أن
تخاطبني هكذا ؟
— وكيف أخاطبك إذن ؟
— كما يخاطب الناس أماً لا يعرفونهم ؟
— غير أننى أهرفك !
— نعرفنى ؟
— ولم لا ... لقد كان غناؤك وحياً تنزل على
فؤادى فحفظته عن ظهر قلب ... لقد حفظت قصتك
كلها ... أنا ذنين بسماعها ؟
— وهل تؤمن أن ما غنيت قصة ؟
— بل أومن أنها حقيقة لا ريب فيها !
— فلم إذن لا تحترم قدس الموت ؟
— قدس الموت ! أوه ! ما أبشع أن يذكر
اسم الموت ههنا ؟
— لأنك رجل أنانى !

- بجمال هذه الدنيا وكثرة مباحيها ...
- فاذا غاب منها شخص لم تعد جميلة كما تحسب ...
- هذا وهم ، ويجب أن تعالجه بالذهيان !
- أجل ، سأعالجه بأن أنسى كل شيء ...
- إلا ذكره ! آه يا علوى ! آه يا حبيبى ! تعال الآن من قاع هذا البحر المقترس فانظر كيف يريد للناس أن ينسخوك من ذا كرتي ! الناس الأثانيون الذين لا يحترمون قدس الموت ، ولا تقشرون لوجهم فرقا له كره ! لقد صارت الدنيا بليدة من بمدك يا حبيبى ها هو ذا رجل ... لا يريد أن تخلص فتاة لالها الذى أخلص لها حتى الموت ... الذى نعى نفسه وشبابه من أجلها ... ما أقبحك أيتها الدنيا ! لقد شوهتك أمانة الانسان ! لقد كنت قبل آدم جميلة ساذجة طهوراً قلطخ وجهك بأوحاله
- تنح أيتها الشاب ! لقد كنت أحسب دماءك هذه دماء نقية ... لقد كنت أرى لك وللبحر بلقفك ... لقد خدعت فى دموعك التى ذرقها من أجلى فوق رمال الشاطئ ، وكنت أرجو أن أعثر فى روحك على صدق ، فاذا للشيطان القدر يتحدر فى صلبك من أيام آدم
- أختاه ... أرجوك ؟
- علام تساومنى ؟ على قلبى ؟
- بل أنا ضحية أخرى من ضحاياك
- أسكت فاني ليس لى ضحايا ... إنك تدنس دمك ودموعك بهذا الهراء ! كيف تستبيع لنفسك للتخلص على فجائع القلوب
- اللصص ! أه ! إنك تهينينى !
- وأنت أهنت ذكرى حبيبى ، وآلمت روحه !
- إذن ، فأنا أعتذر
- إذن ، تنح ، فقد طال حوارنا ، وأريد أن
- أبلغ القاهرة فى ميعاد لا أحب أن أعده
- وتنحى علوى ... وقفزت الفتاة فى السيارة .. وقبل أن تغلق بابها نظرت إلى الشاب نظرات غامضة لم يفهم منها إلا أنها تدعوه . فتقدم خطوات ووقف كالشبح .. فدت إليه يدها الناعمة الخصبية ، فتناولها فى يديه جيماً ، ثم أهوى عليها بفمه المرتش يطبع فوقها عشرات القبل ، وينثر عليها قلبه وروحه ودموعه ...
- ثم مدت يدها الأخرى فربت بها على شمره الأشعث ، وخديه البليلين ، وجذبتة إلى جانبها فى السيارة .
- آه يا قاسية !
- لننسى !
- وما اسمك إذن ؟
- اسمى ... ستمرفه فى القاهرة !
- فى القاهرة ؟
- أجل ... هناك !
- لقد تركت هنا ...
- طربوشك وحذاءك ؟ أليس كذلك ؟
- بلى !
- نشترى غيرهما من هناك ؟
-
- وأقيم فى السويس مرادق نغم حاشد ، وأقبل الناس من كل فج يعزون والد علوى ... أليس قد غرق ؟ أليس هذا طربوشه وهذا حذاءه ، وهذه فوطه ملقاة على الرمال !
- وكان من بين المزين علوى نفسه !
- لقد أقبل هو وأسماء فى الليلة التالية ليزفا إلى أبيه للبشرى السعيدة ... لقد خطبها !
- دربنى مشبه